



## أثر الزوايا في الفكر العقدي بالجزائر خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي

### The Impact of Zawayah in the Doctrinal Thought Through the French Occupation in Algeria

العفيفي فيصل<sup>1\*</sup> ، عبد الجليل بن سالم<sup>2</sup>

<sup>1</sup> كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: faycal.elafifi@univ-tlemcen.dz

<sup>2</sup> كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: abdeljalil.bensalem@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر

2024/12/01

تاريخ القبول

2024/09/12

تاريخ الإيداع

2024/06/02

**الملخص:** تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الدور الذي لعبته الزوايا الصوفية بالجزائر خلال حقبة الاحتلال الفرنسي في مجال الفكر العقدي وموقف جمعية العلماء المسلمين منها، وذلك بتوظيف المنهجين الوصفي والتاريخي، ولتحقيق الهدف تم الاستعانة بمصادر تاريخية ودراسات علمية اهتمت بالفكر الصوفي المعاصر في الجزائر، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: يعتبر الفكر العقدي الأشعري المرجعية الدينية في الجزائر، وقد ساهمت زوايا التصوف السني في تعليمه ونشره ثم الدفاع عنه والحفاظ عليه في فترة الاحتلال الفرنسي الذي حاول طمس الهوية الدينية الجزائرية. عملت الزوايا دوراً مهماً في ترسيخ عقيدة الجهاد عند الجزائريين ضد الغزو الفرنسي وما صاحبه من بعثات تبشيرية كحرب على الإسلام. انحرفت بعض الزوايا ومشايخها عن العقيدة الصحيحة كنشرها عقيدة الاستسلام للعدو الفرنسي وعدم قتاله بحجة قضاء الله وقدره. اختلف أعضاء جمعية العلماء المسلمين في مواجهتهم للزوايا الطرقية بين التشدد والاعتدال.

**الكلمات المفتاحية:** الأثر ؛ الفكر العقدي ؛ الزوايا ؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

**Abstract:** The study aimed to discover the vital role of Sufi Zawayah in Algeria under the French occupation, in the intellectual Association of Algerian Muslim Scholars from it. The study includes both descriptive and historical methods and sought help on historical and scientific resources, to achieve the following results: It considers Ash'ari doctrinal thought as religious reference in Algeria according to the role of Zawayah in

\* المؤلف المرسل

teaching and protecting the Algerian islamic identity under French occupation. The study also displays the fighting of Zawayah against French occupation and the doctrine of surrender and lighten the Algerians about Allah's will and destiny. The research explains the diversity of apinions in Association of Algerian Muslim Scholars about Toroqiah Sufism.

**Keywords:** Impact; Doctrinal Thought; Zawayah ; Association of Algerian Muslim Scholars.

## مقدمة:

يعدّ موضوع الزوايا الصوفية بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي من أهمّ المواضيع التي لها علاقة بتاريخ الجزائر الديني والثقافي من جهة، والسّياسي من جهة أخرى، إذ تبين أنّ سياسة فرنسا الاستعمارية طوال مدة تواجدها بالجزائر سعت إلى طمس الفكر العقدي لدى الجزائريين وتحريفه وتوجيهه سلباً، ما جعل الزوايا من أبرز المؤسسات الدينية التي واجهتها وأعلنت الحرب عليها عسكرياً وتربوياً واجتماعياً من خلال العمل على ترسيخ عقيدة الجزائريين السنيّة الذين تمسّكوا بالفكر الصوفي.

حاول الباحث خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على أثر الزوايا في الفكر العقدي الجزائري خلال هذه الفترة الصّعبة من تاريخ الجزائر، إذ كانت السلطات الفرنسية على دراية منذ السنوات الأولى لغزوها لهذه الأخيرة بالعقيدة الدينية لعامة المجتمع الجزائري، ومدى تلاحمه مع الزوايا الصوفية؛ ومن هذا المنطلق، فقد كانت العلاقة بين فرنسا والزوايا في غالبيتها تصادمية مؤثرة في الفكر العقدي للجزائريين، سلباً وإيجاباً، ومنه يمكننا التعرف إلى أي مدى قد ساهمت الزوايا في تمسّك المجتمع الجزائري بأصول دينه وخاصة مرجعيته العقديّة، وإلى أي مدى وقعت في الإفراط والتفريط.

## 1. الإشكالية:

انطلاقاً من الأدوار المتشعبة التي لعبتها مؤسسة الزوايا في الجزائر خلال حقبة الاستعمار الفرنسي، وخاصة في مجال العقيدة الدينية للجزائريين، نطرح الإشكالية التالية: ما

هي العقائد التي اهتمت الزوايا الصوفية بنشرها وترسيخها في المجتمع الجزائري بعد تعرضه للاحتلال الفرنسي ؟

وقد تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية؛ وهي: ما المقصود بالفكر العقدي والزوايا الصوفية ؟ ما هي أبرز الزوايا بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ؟ ما هي العقيدة الدينية للزوايا أثناء المقاومة الوطنية ؟ ما هي تجليات الفكر الصوفي في عقيدة الجزائريين وثقافتهم ؟ ما هو موقف جمعية العلماء المسلمين من الزوايا ؟

## 2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة أولاً في محاولة معرفة كيفية تأثير الزوايا الصوفية في عقيدة الجزائريين خلال فترة تعدد نقطة تحول في تاريخ الجزائر (فترة الاحتلال الفرنسي)، المحتل الفرنسي يدرك منذ البداية أهميتها البالغة في المجتمع الجزائري كمؤسسات دينية حاملة لواء الحفاظ على الهوية الدينية الجزائرية من جهة، وحاملة السيف والسلاح في وجهه من جهة أخرى، ما جعله ينوع في سياساته أثناء تعامله معها للقضاء عليها أو محاولة لأدلتها أو تحييدها، مستغلاً تلك الاختلافات الفكرية والسلوكية بين مشايخها. وأما الأهمية الثانية، فإن الخلاف بين الحركات الدينية الجزائرية لم ينته بانتهاء هذا الاستعمار الغاشم، بل لا يزال ممتداً إلى يومنا هذا، ولهذا وجب علينا دراسة هذا الخلاف المتجذر في الماضي لتجنب الوقوع في الأخطاء نفسها حاضراً ومستقبلاً، ومنه تم تسليط الضوء على الخلاف بين الزوايا وجمعية العلماء المسلمين نظراً لوزنهما الثقيل في تشكيل الفكر العقدي بالجزائر.

## 3. منهج الدراسة:

طبيعة الموضوع تطبقت استخدام المنهج الوصفي لعرض أهم الزوايا الصوفية بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي حسب ما ورد في المراجع، وكذلك المنهج التحليلي لاستخراج ما يمكن أن يُل على أثرها في الفكر العقدي الجزائري، أما المنهج التاريخي فهو ضروري لاستقراء وتحديد ما يخدم البحث.

#### 4. مفاهيم متعلقة بالموضوع:

بناء على قاعدة "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، كان لزاماً تحديد المصطلحات المتعلقة بموضوع الدراسة والتعريف بها.

#### 1.4 مفهوم الفكر العقدي في الجزائر

##### 1.1.4 مفهوم الفكر لغة واصطلاحاً

لغة: جاء في لسان العرب "الفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء، ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكري على فعلي اسم، التفكير التأمل"، (منظور، 2008، صفحة 65/05) وفي معجم الوسيط: "الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول" (مؤلفين، 0000، صفحة 698). يمكن القول أن الفكر لغة يقصد به ذلك الجهد العقلي القائم على النظر من أجل الوصول إلى معرفة شيء مجهول.

اصطلاحاً: من الناحية الفلسفية، يُطلق الفكر على الفعل الذي تقوم به النفس في حركتها في المعقولات، (صليبا، 1982، صفحة 156/02) أما الإمام الغزالي فرأى أن معنى الفكر هو "إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة" (الغزالي، 1990، صفحة 34). يمكن القول أيضاً إن الفكر والتفكير اصطلاحاً يقترب من معناه اللغوي، فهو النظر للوصول إلى حقيقة الأشياء وكشف أسرارها.

##### 2.1.4 مفهوم العقيدة لغة واصطلاحاً

لغة: جاء في لسان العرب "اعتقد الشيء: صَدَّبَ واشتدَّ" (منظور، 2008، صفحة 299/03)، وجاء في أساس البلاغة "واعتقد فلان عقدة إذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالا من عقال وغيره. واعتقد النوى: صَدَّبَ، ومنه اعتقد بينهما الإخاء إذا صدق وثبت" (الزمخشري، 1922، صفحة 132، 131/02)، إذن تعني العقيدة في اللغة الشد والربط والإحكام.

اصطلاحاً: يُقصد بالعقيدة ذلك الحكم الذي لا يقبل الشكّ عند صاحبه، وقد تعني الرأي المتفق عليه بين أفراد جماعة واحدة، أما من الناحية الدينية، فتُطلق العقيدة على ما يؤمن به الإنسان ويعتقد بوجوده كوجود الله واليوم الآخر والجنة والنار (صليبا، 1982، صفحة 92/01). من التعريفين اللغوي والاصطلاحي، فإنّ العقيدة يُقصد بها تلك القضايا التي يؤمن بها الإنسان، وفي العقيدة الإسلامية هي ما يُعَدُّ عليها المسلم قلبه موقناً بصحتها.

### 3.1.4 مفهوم الفكر العقدي

المقصود بالفكر العقدي أعمال العقل في مباحث أصول الدين (العقيدة)، وهو يتضمّن القواعد والآليات الموظفة في العمل ومقاصده (الشيّهاني، 2011، صفحة 80)، أما المدارس العقائدية السائدة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي فقد كانت المدرسة الإباضية، المدرسة الأشعرية / الصوفية، المدرسة الإصلاحية. (طباخ، 2021، صفحة 329)

وأما بالنسبة للفكر العقدي الأشعري، فهو ما فهمه الإمام أبو الحسن الأشعري من الكتاب والسنة والذين جاؤوا من بعده، وهو فكر قائم على النظر في الآيات الكونية والنقلية على توحيد الله عز وجلّ، وعلى مجاهدة النفس وملازمة الفكر الصافي البعيد عن الجدل (الغزالي، 1985، صفحة 109)، وقد ارتبط في الجزائر بالزوايا الصوفية إذ كانت من أهم المؤسسات الدينية لتدريسه ونشره.

### 2.4 تعريف الطرق الصوفية.

ل للوصول إلى تحديد مفهوم الطرق الصوفية، لا بد أولاً من تعريف كلّ من التصوّف والزاوية والشيخ ثم الطريقة.

#### 1.2.4 تعريف التصوّف لغة واصطلاحاً.

لغة: لا يوجد اتفاق بين العلماء حول الأصل اللغوي للفظـة "صوفية" وسبب تسميتهم بها، فطائفة قالت من صفاء الأسرار لأنّ الصوفي من صفا قلبه الله تعالى، وهناك من قال إنّ السبب يكمن في مكانة الصوفية في الصف الأول بين يدي الله تجلّى جلّاله، وقوم اعتبروا أن تسمية صوفية جاءت لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين عاشوا مع النبي عليه الصلاة والسلام ونصروه، وهناك من رأى أنّ تسميتهم بالصوفية نظراً للبسم الصوف. (الكلاباذي، 2010، صفحة 15)

اصطلاحاً: لقد ذكر القشيري بعض تعريفات الصوفية للتصوّف من بينها: "سئل أبو محمد الجريدي عن التصوّف، فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني... وقال محمد بن علي القصاب: التصوّف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام... وسئل رُويم عن التصوّف فقال: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده، وسئل الجنيد عن التصوّف فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة" (القشيري، 2001، صفحة 312، 313)، فالحاصل أنّ الصوفية طوائف اعتنت بالقلوب، وتركبة النفوس وتطهيرها، والعناية بالأذكار.

وأما ابن خلدون فقد رأى أنّ المتصوّفة من يقصدون جمع الهمة والإقبال على الله عزّ وجلّ للحصول على ذوق أهل العرفان، وذلك بالزهد عن الملذات وتعويضها بالذكر، لأنّ النفس إذا نشأت على الذكر كانت أقرب إلى العرفان بالله تعالى. (خلدون، 0000، صفحة 59).

بالنسبة لعبد الحميد ابن باديس، فالتصوّف هو العبادة الكاملة لله تعالى ظاهراً وباطناً، تجبّ الرذائل والتحلي بالفضائل، وهذا يتحقق بتزكية النفس وتقويم الأخلاق. (الجزار، 1999، صفحة 135).

## 2.2.4 تعريف الزاوية لغة واصطلاحاً.

لغة: جمعها زوايا، وزوي الشيء أي قبضه معه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا (منظور، 2008، صفحة 364/14)، والزاوية من الناحية اللغوية مشتقة من الفعل انزوى، وتعني اتخاذ زاوية في المسجد (ركن) للتعبّد. (قاسم، 1999، صفحة 132).

اصطلاحاً: تعني الزوايا في الاصطلاح الصوفي الخلوة للعبادة، وكانت في الأصل للرباط في الجهاد، وهي ثلاثة أنواع: الزوايا المطلقة وهي التي تتسب لمكان ما، تكون مركزاً لطلب العمل وأفعال الخير، الزوايا التي تتسب لشيخ صوفي ميت تحيي ذكره العامة، وهذه الزاوية مكاناً لطلب البركة وليس العلم، والنوع الثالث هي الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية. (بوعلام، 2011، صفحة 463)

ولقد كانت الزوايا بالجزائر من أهم المؤسسات التعليمية التي حافظت على الفكر العقدي في المجتمع، تحقيقاً للمقولة المشهورة عند علماء الجزائر "الفقه المالكي والمذهب الأشعري وطريقة الجنيد السالك" وذلك بنشر العلم الديني السليم على ضوء الكتاب والسنة.

## 3.2.4 مفهوم الشيخ عند الصوفية

يقصد به المرشد الروحي الذي سلك طريق الحق، فتولى تربية المريدين، وتعليمهم السلوك الموصل إلى الله تعالى، فهو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة كما قال القاشاني (730هـ)، وقد رأى الجيلاني وغالب الصوفية، أنه لا بد لكل مريد لله تعالى من شيخ لأن المشايخ هم الطريق إليه، كما لا بد أن يكون الشيخ قد أخذ الطريق عن شيخ قبله، بحيث ينتهي التسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم (زيدان، 1991، صفحة 44).

#### 4.2.4 تعريف الطريقة

لغة: الطريق، المسلك، السيرة، المذهب والطبقة، جمعها طُرُق وطرائق (الباقى، 1945، صفحة 420) ويقال طُرُقَة الرجل أي مذهبه (الزمخشري، 1922، صفحة 70/02).

اصطلاحاً: يقصد بالطريقة عند أهل التصوف بأنها "مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي والمقامات ما رسخ وأقام من الأحوال" (العطّاس، 0000، صفحة 17)، وهي أيضاً "عهد بين المريد وشيخه على التزام الذكر (الورد) وآداب مخصوصة للتطهير الباطني ومعرفة الله" (بريكة، 2006، صفحة 294)، وهي أيضاً تحرير الروح والذكر المتواصل بين يدي شيخ يَد من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين به، إذ يسعى المريد إلى إتباع طريق شيخه، والتشبه بتعاليمه إيماناً وقولاً وفعلاً (تركي، 2008، صفحة 549).

يمكننا القول مما سبق إن الطريقة الصوفية مجموعة من السلوكيات والالتزامات والعقائد والأخلاق داخل طائفة صوفية محددة، يلتزم بها المريد أثناء تتلمذه بين يدي شيخه.

#### 5. الزوايا الصوفية بالجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي

إن التطرق لموضوع الزوايا الصوفية المتواجدة بالجزائر في عصرنا الحديث، يدفعنا أولاً إلى تسليط الضوء على تاريخ التيار الصوفي في الجزائر ونشأته، وكذلك مدى تجلياته في تكوين الهوية الجزائرية على المستوى الاجتماعي والثقافي.

#### 1.5 نشأة الحركة الصوفية بالجزائر

لقد انتشرت الحركة الصوفية بشمال إفريقيا منذ القرن الخامس للهجرة، وخاصة بعد انتشار كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، وازدهرت بالجزائر بعد أن أقام بها الزاهد الأندلسي الصوفي أبو مدين شعيب ابن الحسين، ثم بسبب مرور بعض أقطاب

التصوف الفلسفي بها، وعلى رأسهم محي الدين بن عربي، إضافة إلى عبد الله الششتري والصفي عبد الحق بن شعيب؛ وإننا يمكن أن نَميز بين مدرستين للتصوف في الجزائر:

### 1.1.5 مدرسة التصوف السني

هي التي تهتم بتزكية النفوس وتربيتها، من روادها ابن النحوي بن محمد التلمساني (513 هـ)، وأبو مدين شعيب بن الحسين (594 هـ)، وأبو زكريا يحيى الزواوي (611 هـ)، ومن أهم الكتب التي نهل منها التصوف السني بالجزائر نجد كتاب "الرعاية لحقوق الله" للحارث بن أسد المحاسبي (243 هـ)، "وقوت القلوب" لأبي طالب المكي (386 هـ)، و"الرسالة القشيرية" لأبي القاسم القشيري (456 هـ)، و"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (505 هـ). (بونابي، 2004، صفحة 20)

### 2.1.5 مدرسة التصوف الفلسفي

يُ قصد به التصوف المتأثر بآراء الفلاسفة وتصوراتهم، ولّى من أعلامه محي الدين بن عربي (638 هـ)، وأبو الحسن الششتري الأندلسي (668 هـ)، ومحمد ابن سبعين الإشبيلي (669 هـ). (تركي، 2008، صفحة 552)

لقد ساهم أعلام التصوف الذين استوطنوا الجزائر في نشر الفكر العقدي الصوفي بين أفراد المجتمع، وقد ساد تدريجياً التصوف السني الأشعري ليصير من عقائد الجزائريين الراسخة.

### 2.5 الطرق الصوفية بالجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي

إن الحديث عن الزوايا في الجزائر المعاصرة يعني التعرض إلى تحديد أنواع الطرق الصوفية فيها، إذ تبين أنه مع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر، صارت السلطة المتحكمة في الشعب الجزائري بين أيدي مشايخ الطرق الصوفية، وأضحت الزوايا تلعب الدور الرئيس في عقد الرباطات الجهادية، التي قاومت الجيش الفرنسي وحاربه أثناء توغله في أرجاء البلاد، وأهم هذه الطرق:

الطريقة القادرية: تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (561 هـ) الذي أسسها ببغداد خلال القرن الخامس الهجري، أدخلها إلى الجزائر أبو مدين الغوث بعدما أخذ أسسها من مؤسسها، هذا إضافة إلى إبراهيم ابن عبد القادر الجيلاني الذي نشر تعاليمها بمنطقة الأوراس بالجزائر، حيث أسس زاوية القادرية ببلدة منعة، وأما في الغرب الجزائري فنجد زاوية القيطنة بالقرب من مدينة معسكر، وقد أسسها الشيخ مصطفى الغربي جد الأمير عبد القادر. (فيلالي، 0000، صفحة 37)

الطريقة الشاذلية: مؤسسها أبو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي من المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد، ونظرا لمرونة تعاليمها واعتدال نهجها، فقد عرفت انتشاراً كبيراً في الجزائر، وتفرعت منها طرق عديدة كالدرقاوية، واليوسفية، والزبانية، والشيخية، كما انتسب إليها علماء كبار كعبد الرحمن الثعالبي، بن يوسف الملياني، إبراهيم التازي. (العقبي، 0000، صفحة 149/02، 150)

الطريقة الرحمانية: أسسها محمد بن عبد الرحمن القشتولي المولود بمنطقة جرجرة بالجزائر سنة 1720م، واصل تعلمه بالجزائر العاصمة ثم بالأزهر، حيث مكث بمصر مدة طويلة، حتى صار مريداً في الطريقة الخلوتية، ثم عاد إلى الجزائر بعد غياب ثلاثين سنة ناشراً هذه الطريقة، وقد أسس زاوية بمسقط رأسه في آيت إسماعيل، ثم في الحامة بالعاصمة، ورغم تضيق الأتراك الخناق على أتباع هذه الطريقة، إلا أنها عرفت انتشاراً كبيراً في كل البلاد، ومن أهم الزوايا التابعة لها إضافة لما ذكرناه سابقاً، نجد زاوية الشيخ الحداد ببلدة صدوق، والزاوية العثمانية بطولقة، وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنفي ببسكرة. (العقبي، 0000، صفحة 155/02، 158)

الطريقة التجانية: تنتسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد التجاني، ولد بعين ماضي في الأغواط جنوب الجزائر سنة 1737م، تلقى العلوم الإسلامية بفاس ثم تلمسان ثم بتونس، قبل أن يعود إلى الجزائر متصوفاً جامعاً خلاصة الطرق الشاذلية والطيبية والرحمانية

والناصرية، وقد حظ عصا الترحال بقصر بوسمغون جنوب البيض، حيث أسس طريقته، وبسبب تضيق الأتراك عليه هاجر مع عائلته إلى فاس، حيث التحق بجامع القرويين لتدريس علوم الشريعة، وقد بنى بهذه المدينة زاوية له، وقد انتشرت طريقته في السنغال والغابون وغينيا ومالي والسودان إضافة إلى مصر؛ ولّى من أهم الزوايا التجانية في الجزائر إضافة إلى الزاوية الأم في البيض، نجد زاوية تامسين والأغواط وورقلة وتوقت. (الجيلالي، 1994، صفحة 51/04، 53)

الطريقة العلاوية: تعد من أشهر الطرق الصوفية المعاصرة بالجزائر، أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي، كان على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم، ثم أسس طريقة روحية جيدة حملت اسمه، عمل على إصلاح الزاوية باستخدام وسائل تعليم حديثة كالمطبعة وتخصيص أقسام دراسية؛ ومن مؤلفاته الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية، وقواعد الإسلام بالفرنسية، ومنهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن وغيرها من المؤلفات، من أهم مشايخها الشيخ عدة بن تونس، والشيخ محمد بن خليفة المدني، وقد انتشرت الطريقة في دول عربية عديدة. (لحية، 2016، صفحة 112، 115)

طرق صوفية وزوايا أخرى: وجب الإشارة إلى وجود طرق صوفية أخرى بالجزائر، تعد فروعاً عن الطرق الكبيرة التي سبق ذكرها، إلا أنها لم تعرف انتشاراً كبيراً، إما بسبب تحول بعض رجالها من التصوف إلى السياسة، ولما بداعي دخولهم في صراعات مع طرق أخرى، وهي على الأرجح لم تلعب دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية المعاصرة بالجزائر لاسيما أثناء الاحتلال الفرنسي، وبعد الاستقلال، مثل الطريقة الدرقاوية، والطريقة الحنصالية، والطريقة الطيبية، الطريقة السنوسية وغيرها (القاسم، 1998، صفحة 519، 515/02)، كما وجب التنبيه إلى أن سلطات الاحتلال الفرنسي قد قامت تقريباً بغلق كل زوايا المدن، أو التضيق عليها، وذلك بفتح مدارس تعليمية تابعة لها مع سنّ قوانين

إجبارية تعلّم الأطفال فيها، ولم تتجح في تطبيق هذه السياسة في الأرياف والبادية، وخاصة بمنطقتي زواوة والجنوب الجزائري، ومن أشهر زوايا زواوة: زاوية اليّلوي وزاوية ابن إدريس وزاوية شلاطة (أقبو) وزاوية تيزي راشد والزاوية السحنونية (ظهرت في العهد الفرنسي) وغيرها (القاسم، 1998، صفحة 180/03، 196)، وأما في الجنوب، وعلى الرغم من أن عدد الزوايا لم يكن كثيراً إذ لم يؤسّس بعض أعلام التصوف زوايا، بل اتخذوا من المساجد ومن منازلهم أمكنة للتعليم قربة الله تعالى وفي سبيله، كما فعل الشيخ محمد بن علي بن شبيرة وأخوه في بوسعادة، والشيخ محمد بن يوسف اطفيش في ميزاب، والشريف بن الأحرش في الجلفة وغيرهم كثير، ومن أكثر زوايا الجنوب نشاطاً في عهد الوجود الفرنسي بالجزائر، نجد: زاوية طولقة وزاوية الخنفة، وزاوية أولاد جلال، وزاوية الهامل، والزاوية التجانية بفرعيها في عين ماضي وتماسين، وزاوية قصر البخاري وغيرها. (القاسم، 1998، صفحة 213/03، 227).

هذا وتعدّ الطّرق الصوفية من أهم مكونات المجتمع الجزائري منذ زمن بعيد قبل الاحتلال الفرنسي، وقد كان لها النفوذ الاجتماعي وحتى السياسي في عدة مناطق جزائرية، بغض النظر عن الاختلافات الفكرية والسلوكية فيما بينها، وأما بالرجوع إلى حقبة التواجد الفرنسي بالجزائر، فيمكن القول أنّه توجد أربعة طرق صوفية كبرى كان لها تأثير في عقيدة الجزائريين، وهي: القادرية والرحمانية والتجانية والعلوية.

### 3.5 دور الزوايا في تشكيل عقيدة الجزائريين خلال حقبة الاحتلال الفرنسي

تعدّ الزوايا الصوفية في الجزائر من أهم المؤسسات التي ساهمت في الحفاظ على الهوية الجزائرية ومرجعيتها الدينية، إذ ساهمت في ترسيخ روح الانتماء للأمة الجزائرية الإسلامية في المجتمع، ويمكن تحديد أربعة جوانب للزوايا في بنائها للفكر العقدي لدى الجزائري أثناء مواجهة الغزو العسكري، والديني والثقافي الذي مارسه فرنسا؛ وهي:

### 1.3.5 الجانب التعليمي

على الرغم من أن التعليم في الزوايا كان بسيطاً من حيث الأسلوب والمناهج، إلا أنه تمكن من الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمحافظة عليها لدى الجزائريين، كما حافظ على اللغة العربية، وهذا من خلال حرصها الشديد على تحفيظ القرآن الكريم للطلبة وتعليمهم أصول الدين، والفقه وعلوم القرآن والحديث واللغة العربية وآدابها، وهذا مع تدريبهم على المواظبة على العبادات، وتلاوة الأوراد وحضور حلقات الذكر، وتبادل الزيارات بين شيوخ الزوايا لتبادل العلم والمعرفة، ورسال الطلبة للتعلم في الزوايا الفرعية مع التدرج إلى الزاوية الأم. (شهبي، 0000، صفحة 43، 45)

هذا، وقد اعتبر المحتل الفرنسي سقوط الجزائر فرصة لإعادة نشر المسيحية بشمال إفريقيا، ولهذا قام بتحويل الكثير من المساجد والأوقاف إلى كنائس وثكنات عسكرية، وكذا بناء مؤسسات دينية مسيحية، وتأسيس جمعيات تبشيرية، وهدم أو حيازة الزوايا التي وقفت ضد هذا المشروع الصليبي (القاسم، 1992، صفحة 75، 72/01)، ونشر فكرة التسليم بالقدر وقبول الواقع وعدم السعي لتغييره، لأنه قضاء من الله تعالى وقد روج بعض مشايخ الزوايا لهذه العقيدة الفاسدة داخل المجتمع الجزائري، بدعوى أن الاحتلال الفرنسي هو من باب القدر والقضاء الإلهي، إذ يجب الصبر عليه (رابح، 1984، صفحة 99)، ورغم كل هذه المحاولات من قبل السلطات الفرنسية لطمس عقيدة الجزائريين وإخراجهم من الإسلام، وانحراف بعض الزوايا في باب العقيدة (الخرافات والبدع) إلا أن النتيجة كانت معاكسة حيث تمسك المجتمع الجزائري أكثر بدينه، وهذا بفضل الطرق والزوايا الصوفية التي واصلت نشاطها الديني التعليمي، كسد أمام محاولات التبشير الفرنسية، وقد صار الفكر الصوفي هو الفكر العقدي الغالب عند الجزائريين. (القاسم، 1998، صفحة 174/03).

ولقد تعرض التعليم في الزوايا إلى كثير من النقد، لأن بعض التعاليم الصوفية تدعو إلى عقيدة الحلول، كما أن طريقة التدريس فيها تقوم على الحفظ وليس الفهم، وحتى دراسة

النحو لا تخرج عن شروح متون الآجرومية والألفية وحفظها عن ظهر قلب، إضافة إلى أن الكثير من نصوص الكتب الصوفية غامضة، ورغم هذا النقد الموضوعي، إلا أن بعض المستشرقين الفرنسيين طالبوا الحكومة الفرنسية بعدم محاربة هذا النوع من التعليم، لأنه لا يؤدي إلى اليقظة العقلية للجزائريين، في حين أنه قد ارتفعت بعض الأصوات تطالب بإصلاح التعليم في الزوايا كالتي كانت من المختار بن الحاج سعيد. (القاسم، 1998، صفحة 178/03، 179)

### 2.3.5 الجانب العسكري

ساهمت سياسة التصير الفرنسية بشكل مباشر في اندلاع عدة ثورات ومقاومات شعبية تحت راية الجهاد لأن الجزائري متمسك بعقيدته الإسلامية، ولا يقبل إطلاقاً المساس بها أو بمقدساته (بقطاش، 2006، صفحة 151، 152)، ولهذا لعبت الزوايا على اختلاف طرقها دوراً بارزاً في جمع المجاهدين، وتحريضهم لقتال الغازي، دفاعاً عن دينهم ووطنهم، وهذا ما دفع بالمستعمر الفرنسي إلى محاولة القضاء عليها أو احتوائها بالمال، وباستدراج شيوخها، وقد فشل في أغلبها، فلجأ إلى محاولة التفريق بينها وبين أفراد الشعب بخلق مؤسسات موازية لها كالمدارس التعليمية النظامية، والجمعيات التبشيرية كالأباء البيض وجمعيات خيرية وزرع النزاعات والفتن بين مشايخ الطرق، وقد فشل في هذا أيضاً، لأن المجتمع الجزائري مرتبط روحياً بالزوايا، وهكذا اندلعت مختلف المقاومات المسلحة ضد الاحتلال من الزوايا طيلة سنوات تواجده بالجزائر، بداية من ثورة الشيخ الأمير عبد القادر من زاوية القيطنة بمعسكر، إلى ثورة الزعاطشة سنة 1849م، والتي كان على رأسها الشيخ المتصوف أحمد بوزيان مقدم الطريقة الدرقاوية بمنطقة بسكرة (بلاح، 2006، صفحة 125/01)، وثورة القبائل (1851-1857) تزعمها الشريف بوبغلة ثم الحاج عمر والمجاهدة لآ فاطمة نسومر (بلاح، 2006، صفحة 127/01)، وثورة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1895)، وقد انطلقت من ورقلة وامتدت إلى تقرت وأولاد نايل (بلاح، 2006،

صفحة 129/01)، وثورة أولاد سيد الشيخ (1864-1881)، وثورة المقراني 1871م، قادها أحمد المقراني ومحمد أمزيان بن علي الحداد، شيخ الطريقة الرحمانية في وقته (بلاح، 2006، صفحة 293/01)، وثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908)، قادها الشيخ بن العربي بن سيدي إبراهيم بن تاج المشهور ببوعمامة، شيخ الطريقة الشّخية (بلاح، 2006، صفحة 305/01).

ولّى من أهمّ العقائد التي استخدمها مشايخ الزوايا في مقاومتهم المسلحة ضد التمدد العسكري الفرنسي في الجزائر عقيدة المهدي المنتظر، وهي معروفة لدى الجزائريين آنذاك بمولى الساعة، فالكثير من زعماء المقاومة الشعبية ساد اعتقاد العامة فيهم أنهم المهدي المنتظر؛ أي: الرجل المبارك الذي سيقودهم للنصر على هؤلاء الأعداء الصليبيين، وما زاد في ترسيخ هذا المعتقد، غياب هؤلاء الزعماء عن أنظار الناس، وعدم معرفة أسمائهم الحقيقية (يشتهرون بأسماء مثل: بومعزة، وبوبغلة، وبوعود، وبوشوشة، وبوسيف...) وكذا شجاعتهم في قتال العدو، وظهور كرامات لهم وقصص وأساطير حولهم، وادعائهم النسب الشريف، ولقد تمكنت هذه المقاومة من إثارة رعب الفرنسيين، وتعبئة الشعب الجزائري للاستمرار في الجهاد. (القاسم، 1992، صفحة 293/01، 291)

وجب التنبيه إلى أنّ بعض الطرق الصوفية التي تحالفت مع فرنسا كالحنصالية، والعيساوية، والتجانية التي أعلنت الولاء سنة 1940م، قد فقدت حيويتها، وانخفض عدد أتباعها كثيراً مقارنة مع الطرق التي رفعت راية الجهاد، كالقادرية والرحمانية والدراقوية، وحتى شيوخ الزوايا الذين فضّلوا السلم والحياد مع العدو الفرنسي مخالفين بذلك مذهب طريقتهم ومنهجها، فقد فقدوا الكثير من أتباعهم؛ مثل: الزاوية القادرية في منعة بالأوراس، والزاوية الرحمانية في جبل بو عريف حيث أصبح الشيخ عبد الصمد إنسانياً سنة 1871م، وفي السنة نفسها اختار أيضاً الشيخ علي بن عثمان الحياض، والموقف نفسه اتخذه محمد بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل، واتخذته زاوية تكوك التابعة للطريقة السنوسية، ولهذا بقيت الطرق

الصوفية تخيف الفرنسيين، لأنّ المرابطين جنود وراء الشيوخ ينتظرون الإشارة منهم لشنّ الحرب عليهم، فهي القوة الوحيدة المتبقية للجزائريين. (القاسم، 1998، صفحة 306،319/04)

### 3.3.5 الجانب الاجتماعي

لعبت الطرق الصوفية بالجزائر دوراً مهماً في المحافظة على التماسك الديني والاجتماعي معاً، فقد اهتمت بنشر الأخوة بين أفراد وقبائل المجتمع الجزائري، حيث كانت الزوايا تعمل على إصلاح ذات البين (الخصومة بين الأزواج)، تقوم بدور المحكم والوسيط والمصلح بين الناس لحل نزاعاتهم، الدفاع عن المظلومين والمستضعفين، السهر على رعاية الفقراء والمساكين حيث كانت ملجأً للأيتام والمحتاجين والأرامل. (هزوشي، 2015، صفحة 125،122)

ولقد اشتهرت الزوايا بالطريقة بالتكافل الاجتماعي، هذه القيمة الخلقية استمدتها الصوفية أولاً من الدين الإسلامي، ثم من منهجهم في الحياة الذي يركز على الزهد وحب مساعدة الآخر، ولهذا يعدّ التكافل من أرقى الدرجات في سلم الولاية، ومن مظاهر التكافل الاجتماعي ما يلي:

الإطعام والإيواء: يعتبر الإطعام والإيواء من الوظائف المرتبطة بالزوايا، إضافة إلى التعليم والتربية والدينية، فقد كانت توفر المأكل والمشرب والمبيت لطلبة العلم، وكذلك عابري السبيل والضيوف، إيواء الفقراء والعجزة والمجاهدين وحتى الهاربين من المجرمين، ومن ظلم رجال السياسة. (القاسم، 1998، صفحة 269،268/01)

علاج المرضى: من الكرامات المنسوبة لكثير من شيوخ الزوايا، قدرتهم العجيبة على علاج الأمراض كالصرع، البرص، العقم وغيرها من الأمراض المستعصية، إضافة لقدرتهم على تخفيف الآلام الجسدية كأوجاع الأسنان والرأس والبطن وغيرها، وقدرتهم على علاج المصاب بالسحر والعين، ومختلف الأمراض الروحية، وذلك عن طريق استخدامهم التأميم

والأحجية، وريق الشيخ، ومسح جسد المريض بيد الشيخ وغيرها من الطقوس العلاجية، ولهذا عرفت الكثير من الزوايا وأضرحة الشيوخ أعداداً كبيرة من الزوار، طلباً للشفاء خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث تدهور كثيراً القطاع الصحي. (غزيل، 2022، صفحة 355)

### 4.3.5 الجانب الثقافي

لقد استلهم الجزائري ثقافته من ثقافة الزوايا الدينية، وهو ما انعكس في حياته اليومية على المستوى الفكري واللغوي وأسمائه ولباسه، وحتى في نظرتة للإنسان والكون، وهذا ما جعل الجزائري مختلفاً ومتميزاً عن الفرنسي لأنه يعيش وفق ثقافته (كان يراها المستعمر الفرنسي ثقافة تقليدية وفولكلورية)، ومن بين أثر الزوايا في الثقافة الجزائرية نجد ما يلي:

أسماء وألقاب العائلات: لا يكاد يخلو بيت جزائري إلا وفيه اسم أو لقب عائلي يعود لشيخ طريقة صوفية أو لصفة موصوف بها، فعلى سبيل المثال، اسم "عبد القادر" متداول كثيراً في المجتمع الجزائري، وهو تيمناً بالولي الصالح "عبد القادر الجيلالي"، وهناك أسماء وألقاب عديدة، تعتبر نوعاً له، مثل "العرج" وهو الذي به عرج في إحدى قدميه، "الجيلالي" نسبة إلى بلدة جيلان التي منها الولي، و"قور" مشتقة من عبد القادر، وهي صيغة للتحيب، و"قويدر" صيغة تصغير للتحيب وقد ارتبطت بالزهد، ثم صار يدل على شر الفقر، و"بوعلام" أي صاحب العلم، وقد صارت قطعة قماش خضراء توضع على ضريح الولي، "بودريالة" أي: صاحب اللباس البالي والمربع وهي خرقة المتصوفة، و"المقدم" من يتقدم شؤون الزاوية وغير هذا. (كبريت، 2013، صفحة 233، 234)

ولّى في حب الجزائري للزوايا وللأولياء الصالحين وتعلقه بهم، جعله يسمى أبناءه بأسمائهم، مع العلم ما للأسماء من أثر كبير في حفظ الذاكرة التاريخية للمجتمع وهويته الثقافية والدينية.

اللباس: اهتم الجزائري بلبس البرنوس والعمامة، مع تفضيل اللون الأبيض والأخضر وهذا تشبهاً بلباس الأولياء ومشايخ الزوايا.

الأطعمة: يعتبر طبق "الكسكسي" من أشهر الأطباق الجزائرية والأكثر حضوراً في المجتمع والسبب يعود لكونه الغذاء الأساسي في الزوايا الصوفية، ولهذا أخذ طابعاً طقوسياً في معتقدات العوام، كالحرص على تقديمه أيام الجمعة، بل وهناك من يترك بأكله في الزوايا طلباً للشفاء.

القسم في بعض المناطق يتم القسم بأسماء الأولياء والأضرحة. التقسيم القبلي: لقد خلقت الزوايا نوعاً من الولاء الطريقي، يقسم القبائل والأعراش بحسبه؛ مثل: التجانيون (اتباع الطريقة التجانية)، القادريون (اتباع الطريقة القادرية)، السنوسيون (اتباع الطريقة السنوسية) وغيرها، كما خلقت انقسام قبلي على أساس إثني مثل: الأشراف والمرابطين وغير الأشراف وغيرها. (كبريت، 2013، صفحة 235، 236)

## 6. موقف جمعية العلماء المسلمين من الزوايا

إن الحديث عن الفكر العقدي الجزائري، وما لعبته الزوايا الصوفية من دور في تأسيسه خلال حقبة الاستعمار الفرنسي، يدفعنا إلى الحديث عن المدرسة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين، نظراً لاختلاف التوجهات الفكرية بينهما من جهة، ووقوعهما في تصادمات لا تزال لحد الآن تثير أقلام الباحثين والمحققين والمؤرخين من جهة أخرى.

### 1.6 تعريف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم الحركات الإصلاحية الدينية في تاريخ الجزائر الحديث، إذ بدأ مشروع تأسيسها سنة 1924 م من قبل الشيخ عبد الحميد ابن باديس (القاسم، 1992، صفحة 387/02)، إلا أن ميلادها الرسمي كان يوم 05 ماي سنة 1931 م بالجزائر العاصمة لإبعاد شبهة الجهوية عنها من جهة، ولأن زعيمها أراد نشر أفكارها في جميع أرجاء البلاد بهدف الإصلاح وتوحيد الصفوف ضد المستعمر من جهة

أخرى، وقد حضر اجتماع بيان تأسيسها اثنان وسبعون عالماً يمثلون مختلف المذاهب الموجودة في الجزائر (الدين، 1985، صفحة 106/01).

ويمكننا القول إنّ جمعية العلماء المسلمين هي جمعية علمية دينية، هدفها الأساس الإصلاح الاجتماعي، بتعليم الناس سماحة الإسلام ونقاوته في العقائد والعبادات، كما تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبحها العقل وحرّمها الشرع، فالجمعية أداة فعّالة من أدوات التربية الصالحة. (الإبراهيمي، 0000، صفحة 04،03)

## 2.6 أسباب الخلاف بين جمعية العلماء المسلمين والزوايا الطرقية

يرى بعض الباحثين أن السبب المباشر لاندلاع شرارة الصراع بين جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وقعت بسبب حوادث الاعتداء على علماء الجمعية، كما حدث للشيخ ابن باديس يوم 14 ديسمبر 1926 (لحية، 2016، صفحة 146)، وكذلك حادثة 23 ماي من سنة 1932 حينما حاول بعض الطرقيين بمساندة جمع غفير من الناس الاستيلاء بالقوة على دار تابعة للجمعية بالجزائر العاصمة (لحية، 2016، صفحة 134،135)، إلّا أنّ الأسباب الحقيقية تتمثل في الاختلاف الفكري والعقائدي بين الطرفين، دون أن ننسى عامل الاحتلال الفرنسي الذي انتهج سياسة التفرقة بين الجزائريين.

### 1.2.6 الخلاف الفكري العقائدي

إنّ الهدف الأساس لإنشاء حركة إصلاحية دينية في الجزائر حملت اسم جمعية العلماء المسلمين تمثّل في إعلان الحرب على مظاهر الشرك والبدع، والخرافات التي غرق فيها عامة الشعب الجزائري، نظراً لانحراف بعض الزوايا الطرقية عن المنهاج الرباني السليم، فقد استهدفت الجمعية منذ بداية نشأتها الطرق الصوفية لكشف ضلالاتها، وتوعية الشعب من مخاطرها، إذ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في ذلك واصفاً حال الشعب الجزائري: "البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه... يفسدان عليه دينه وديناه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار

روحاني يمثّله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتاجرون باسم الدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطوعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير... فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون، وكذلك فعلنا" (الإبراهيمي، 1997، صفحة 282).

### 2.2.6 الاحتلال الفرنسي وسياسة التفرقة

ولّى من الأساليب التي استخدمها الاحتلال الفرنسي لبسط هيمنته على الجزائريين والقضاء على ثورتهم زرع روح الخلاف والتفرقة بينهم، سواء على أساس ديني أو عرقي أو لساني، وهكذا اخترق الكثير من طرق الصوفية لكي تكون أداة بين يديه كما أن الجمعية لم تكن بمنأى عن هذا الاختراق، ومثال ذلك هجوم الإبراهيمي في العدد 61 من جريدة البصائر بتاريخ 27 ديسمبر 1948 على الزاهري الذي كان من أهم شيوخ الجمعية وأقلامها، وأكثرهم نقداً وشدة على الصوفيّين، واصفاً إياه بالخيانة والعمالة للاستعمار. (لحية، 2016، صفحة 159، 160)

### 3.6 موقف علماء الجمعية من الزوايا بين الاعتدال والتشدد

لقد اجتمع علماء الجمعية على قناعة، بضرورة وجود مشروع إصلاح في المجتمع الجزائري، نظراً لما أصابه من انحرافات فكرية بعضها تمسّ مسائل العقيدة الإسلامية، ورغم اتفاقهم على أن بعض الزوايا الصوفية وشيوخها يتحملون جزءاً من المسؤولية، إلا أن موقفهم منهم كان متبايناً فيما بينهم، إذ كان بعضهم يميل إلى المناقشة وقبول الاختلاف واللين في الخطاب، على عكس البعض الآخر الذي يرفض المناقشة (باعتبار أن كل ما يأتي من الزوايا ضلالة وبدعة)، وهكذا كان خطابهم يتميّز بالعنف والتكفير والإقصاء، وذلك ما يراه نور الدين أبو لحية حيث ممّز بينهم كالتالي:

### 1.3.6 الموقف المعتدل

لّعى من أهم شخصيات جمعية العلماء المسلمين التي امتازت بالاعتدال في تعاملها مع الزوايا الطرقية ورجالها، نجد الشيخ عبد الحميد ابن باديس، والشيخ أبو يعلى الزواوي، والشيخ العيد القادري، والشيخ مبروك تبسي (لحية، 2016، صفحة 180)، ومن الأمثلة فإن الكثير من كتابات ابن باديس كانت مدحاً وثناءً للزوايا ومشايخها، كقوله في زيارته لمستغانم ومجالسته لمشايخ الطريقة العليوية: "... ومن غده دعا للعشاء معنا أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ المفتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة ... ولما انتهينا من العشاء ألقيت موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سبباً في قطع الكثير مما نتفق عليه" (الطالبي، 1997، صفحة 311/04)، فهذه الزيارة الأخوية لرجال الزاوية العليوية من الشيخ ابن باديس، لدليل على محبته لأهل التصوف عموماً، ورغبته في التواصل معهم.

إنّ صفة الاعتدال والتسامح التي مّوت هؤلاء الأعلام لا يعني بالضرورة أنّها تمثّل موقفهم نفسه من كل الزوايا الطرقية، فمثلاً ابن باديس كان معتدلاً في علاقته مع أغلب الزوايا، إلّا الزاوية التجانية فقد كان متشّداً اتجاهها إلى درجة التكفير، قال عنها: "بل هي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت اسم الإسلام ... ولهذا رغم من كان في هذه الطريقة من أناس مشهورين بالعلم كالشيخ الرياحي فإن الحالة هي الحالة وتلك الكفريات والأضاليل فاشية منتشرة في أتباع الطريقة إلى اليوم" (الطالبي، 1997، صفحة 148/03، 149)، وبالتالي فإنّ الطريقة التجانية ليست كسائر الطرق بالنسبة للشيخ ابن باديس، نظراً لما وجده في كتب أصحابها من مخالفات لأصول الدين.

### 2.3.6 الموقف المتشدد

وهو موقف التيار الوهابي نفسه الذي لا يرى في الصوفية سوى الشرك والبدعة والزندقة، ولا حلّ سوى بمحاربتها والعمل على عزل مشايخها عن تصدر المشهد الديني التعليمي في المجتمع، وأغلب أعضاء الجمعية الذين تأثروا بالفكر الوهابي سواء نتيجة احتكاكهم بعلماء الوهابية أو مكوثهم لفترة زمنية ببلاد الحجاز، فقد حملوا هكذا موقف متشدد من الصوفية ورجالها؛ منهم: الشيخ الطيب العقبي، والشيخ مبارك الملي، والشيخ محمد السعيد الزاهري، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي (لحية، 2016، صفحة 200)، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإنّ الشيخ الملي في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره"، يجرّد التصوّف من مصدره الإسلامي ويراه وثنية، يقول: "وجوه الشبه بين الوثنيين الحاضرة والغابرة: لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد، ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين، ولا في التبرك بالآثار احتماء من الأقدار، ولا في التقرب من الأحجار والنفور من المرشدين الأخيار، ولا في عصيان من خلقهم وعبادة ما نحتوه، ولا في افتراق الكلمة والانقسام إلى شيع متعادية" (الملي، 2001، صفحة 165)، بل كان من دعاة التغيير بالقوة، تطبيقاً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الملي، 2001، صفحة 453)، تماماً مثلما فعل محمد بن عبد الوهاب.

يمكن القول إنّ من الأهداف الرئيسة التي تأسست من أجلها جمعية العلماء المسلمين تتمثل في مواجهة الطرق الصوفية، إلى درجة تقديم حربها على حرب الاستعمار الفرنسي، إلا أنّ مواقف أعضائها في التعامل مع الزوايا والطرق الصوفية كان مختلفاً فيما بينهم نظراً للاختلاف في القناعات والتوجهات الفكرية، فكان البعض يميل إلى التشدد كمنهج إصلاحية (عدم سماع الآخر، اللجوء للعنف اللفظي والتجريح والأحكام المشددة وغير ذلك)، والبعض الآخر أكثر ليناً وتسامحاً، ويميل لمناقشة الآخر وعدم إقصائه وتكفيره.

## خاتمة:

لَمَّا ما يَخْتَتَمُ في هذا البحث، ما توصلنا إليه في أن الزوايا الصوفية بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، قد لعبت دوراً مهماً في الاعتناء والدفاع عن المرجعية العقيدية للمجتمع الجزائري وتحديد الفكر الأشعري، كما كانت لها اليد العليا في رفع راية الجهاد ضد الغزو الفرنسي، سواء عسكرياً من خلال تحريض الجزائريين على الاستمرار في القتال وإشعال الثورات، أو دينياً وثقافياً من خلال مواجهة حملات التنصير، التي انتهجتها فرنسا، وذلك بالحرص على تعليم العلوم الإسلامية للجزائريين عقيدة وفقهاً، إضافة إلى اللغة العربية.

ولا يمكن إنكار وجود انحرافات مست العقيدة في بعض الزوايا الطرقية كنشر عقيدة التواكل بين الجزائريين، وعدم جواز قتال الجيش الفرنسي تحت شعار قضاء الله لا نردّه، عقيدة المهدي المنتظر التي أتت إلى فشل الكثير من الثورات الشعبية المسلحة ضد فرنسا وانتهائها بسبب مقتل زعيمها مدعي المهدوية أو اعتقاله، الوقوع في تقديس الأولياء ومشايخ الزوايا كأحياء أو بعد موتهم (أضرحة)، وانتشار خرافات وأساطير حولهم (قدرتهم على علاج أمراض مستعصية، العلاج من السحر والعين ...)، ما جعل الزاوية تتحول من مركز علمي إلى مكان للدجل ونشر الجهل والشرك بالله، إلا أن هذا استثناء وحالات قليلة لا يُقاس عليها، بتعبير آخر، ليس من الموضوعية إغفل الدور الإيجابي للزوايا نظراً لانحرافات بعضها، بسبب استسلام من يقوم عليها أمام الغزو الفرنسي من جهة، أو بسبب وقوعهم في هوى النفس من جهة أخرى.

ومن خلال أعمال علماء جمعية العلماء المسلمين وبعض المؤرخين يمكن ملاحظة أن بعض العلماء من حيث خلفهم مع الزوايا الطرقية كان يتسم بالعنف والتشدد، إذ ومنذ البداية مالوا إلى حلّ استئصالها تماماً من المجتمع بسبب ما تنشره من عقائد يراها هؤلاء من الضلالات والكفريات، وجلّ هؤلاء متأثرين بالفكر الوهابي، وعلى عكسهم فإن البعض الآخر

اختار طريقة المناقشة والمواجهة العلمية، والإقناع العقلي المستند على الدليل، والابتعاد عن العنف وإثارة عواطف العوام ضد الزوايا ومشايخها، ما قد يخلق فتنة وانقسام في المجتمع لن يستفيد منه سوى الاحتلال الغاشم.

ومما سبق، يمكن إجمال أهم التوصيات فيما يأتي:

- ضرورة الاهتمام بتراثنا الجزائري وخاصة الصوفي السني، لما له من أهمية في الحفاظ على الهوية الجزائرية ضد الأفكار والعقائد الوافدة علينا، والتي خلقت خلافات عقدية داخل المجتمع هددت الاستقرار الأمني.
- التأكيد على المرجعية العقدية في الزوايا نظراً لعددتها الكبير عبر التراب الوطني، مع وجوب الإصلاح بالتنفيع فيها مناهج تعليمية معاصرة ومراقبة، ومحاسبة من ينحرف بها عن العقيدة الصحيحة.
- ضرورة الاستمرار في إنتاج الفكر العقدي المعاصر، وتسليط ضوء البحث والدراسات العلمية على علمائنا المعاصرين.
- تكثيف الملتقيات العلمية الوطنية والدولية حول الفكر العقدي المعاصر بالجزائر، بهدف تصحيح المفاهيم المغلوطة حوله.

#### قائمة المراجع:

- الإبراهيمي أ. ط. (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1 ط، م 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الشيحاني ح. ب. ع. (2011). الفكر العقدي عند الشيخ بيوض. مجلة الحياة لجمعية التراث، 1(15)، 285-297.
- القشيري أ. ا. ع. ا. ب. ه. (2001). الرسالة القُشيرية (1 ط، م 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغزالي أ. ح. (1990). التفكير في خلق الله (1 ط، م 1). دمشق: دار الفكر.
- ابن منظور أ. ا. ج. ا. لسان العرب (3 ط، م 5). بيروت: دار صادر.
- أبو القاسم س. ا. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية (1 ط، م 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- العطّاس ع. ا. ا. ع. ظهور الحقائق في بيان الطرائق (1 ط، م 1). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الغزالي أ. ح. (1985). قواعد العقائد (2 ط، م 1). بيروت: عالم الكتب.

- الجيلالي ع. ا. (1994). تاريخ الجزائر العام (7 ط, م 1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- أبو بكر محمد بن إسحاق ا. (2010). التعرف لمذهب أهل التصوف (1 ط, م 1). بغداد: بيت الورق .
- الزمخشري ج. ا. ا. ا. م. . (1922). أساس البلاغة (1 ط, م 1). القاهرة: دار الكتب المصرية.
- العقبي ص. م. (2002). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها (1 ط, م 1). بيروت: دار البراق.
- الطالبي ع. (1997). آثار ابن باديس (3 ط, م 1). الجزائر: الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود.
- أبو زيد ولي الدين ابن خلدون ع. ا. ب. م. ا. تاريخ ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر (1 ط, م 1). الرياض: بيت الأفكار الدولية.
- الجزار أ. م. (1999). الإمام المجدد ابن باديس والتصوف (1 ط, م 1). الإسكندرية: منشأة المعارف.
- أبو القاسم س. ا. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (1 ط, م 2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- مجموعة مؤلفين م. م. المعجم الوسيط (1 ط, م 1). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- عبد الباقي م. ف. (1945). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (1 ط, م 1). القاهرة: دار الكتب المصرية.
- عبد العالي ب. (2011). الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر. مجلة الواحات للبحوث والدراسات, (15), 461-469.
- الميلي م. ب. م. (2001). رسالة الشوك ومظاهره (1 ط, م 1). الرياض: دار الراهية.
- مهداوي غ. & زيدان ج. (2022). دور الزوايا الطرقية في تحقيق الأمن المجتمعي في الجزائر، الزاوية الرحمانية نموذجاً. دفاتر السياسة والقانون, 14(3), 346-364.
- بن بركة م. (2006). التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان (1 ط, م 1). الجزائر: دار المتون.
- عبد الغني قاسم ع. ا. (1999). المذاهب الصوفية ومدارسها (2 ط, م 1). القاهرة: مكتبة مدبولي.
- أبو لحية ن. ا. (2016). جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما (2 ط, م 1). الجزائر: دار الأنوار .
- تركي ر. (1984). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر (4 ط, م 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- كبريت ع. (2014). تصوف الزوايا والهوية الجزائرية مقارنة في المظاهر والتجليات الطرقية. الفكر المتوسطي, 3(2), 223-238.
- طه زيدان ي. م. (1991). الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر (1 ط, م 1). بيروت: دار الجبل.

- مركز سلف للبحوث والدراسات م. س. ل. و. (2019). تصدير سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للشيخ محمد البشير الإبراهيمي (عدد 27؛ ص 01-08). استرجع في من مركز سلف للبحوث والدراسات [/website: https://salafcenter.org/3661](https://salafcenter.org/3661)
- خير الدين م. (1985). مذكرات الشيخ محمد خير الدين (1 ط، م 1). الجزائر: مطبعة دحلب.
- فيلاي م. ا. نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني (1 ط، م 1). باتنة: دار الفن القرافيكي.
- بلاح ب. (2006). تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 (1 ط، م 1). الجزائر: دار المعرفة.
- شهبي ع. ا. (2018). الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر (1 ط، م 1). وهران: دار الغرب .
- بقطاش خ. (2006). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871 (1 ط، م 1). الجزائر: دحلب للنشر.
- صليبا ج. (1982). المعجم الفلسفي (1 ط، م 2). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- طباخ م. (2021). (الوحدة العقدية وأثرها في تماسك المجتمع الجزائري) أطروحة دكتوراة، قسم أصول الدين - جامعة باتنة).
- بونابي ا. (2004). نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط. حوليات التراث، 2(2)، 17-37.
- تركي ع. ا. (2008). نشأة الطرق الصوفية بالجزائر. قُدم في التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار -الجزائر. استرجع في من <https://dspace.univ-adrar.edu.dz/jspui/bitstream/123456789/1805/1/%D8%B9%D8%A8%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%86%20%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A.pdf>
- هزوشي ع. ا. (2015). دور زوايا منطقة الجلفة في الخدمة الاجتماعية إبان الفترة الاستعمارية. قُدم في الجلفة مسيرة كفاح 1830-1962، الجمعية الولائية للبحث التاريخي والتراث بالجلفة.